محمود يسترق النظر من بين عشرات الجنود تجاه أمي وخالي وأخي حسن الذين يجلسون بين الأهالي، محاولاً أن يرسم البسمة على وجهه مطمئناً، فتحاول أن ترد بابتسامة باهتة مكفهرة لا تستطيع أن تخفي قلقها وتحسبها مما سيأتي، وتمر جلسات المحكمة الواحدة تلو الأخرى دون نتائج، وفي كل مرة يرجع السجناء بنفس الإجراءات إلى السجن حيث يستقبلهم زملاؤهم متسائلين عما حدث، محاولين الاطمئنان وإذا كان أحدهم قد حكم بدأوا يحاولون مواساته والتخفيف عنه بأن الفرج قريب وأن السجن لا يؤثر على الرجال وأن هذه ضريبة الانتماء الوطني.

شروط الحياة كانت قاسية بشكل لا يطاق، وردود فعل السجانين على أي محاولة للاعتراض كانت أقسى من كل خيال، فكثيراً ما هُشم رأس أحد الأسرى حيث تساءل: هل هذا الطعام يقيت الآدميين؟ وهل يكفي لعشرين؟ وكثيراً ما كسرت يداه؛ لأنه التفت إلى أحد أبواب الغرف الأخرى أثناء مروره في الطابور خارجاً إلى الساحة وكثيراً ما ازرقت عيونه؛ لأن ثلاثة أو أربعة جلسوا في زاوية غرفتهم على شكل حلقة، وكان لا بد أن يفعل الأسرى شيئاً لكسر هذه القاعدة في التعامل.

بدأ ثلاثة أو أربعة من الأسرى بينهم محمود يتحاورون في الأمر وكل واحد منهم يجلس مكانه كيلا يثيروا السجانين، بحثاً عن طريقة لإنهاء هذا الواقع. وقد كان واضحاً لهم جميعاً أن استخدام العنف والقوة لغير صالحهم، فهم لا يملكون سوى أيديهم بينما يمتلك السجانون الهراوات والدروع والخوذات والغاز المسيل للدموع، وكل البشاعة والقسوة وعدم الشعور بالحد الأدنى بالإنسانية فما يعمل؟ في النهاية خلصوا إلى أن الوسيلة الوحيدة لتغيير هذا الواقع هو الإضراب المفتوح عن الطعام، فبالإضراب المفتوح عن الطعام ندخل معركة الإرادة والقدرة على احتمال آلام الجوع، وانتظار الموت فيقهر بذلك صلف الجلاد ونجبره على تغيير معادلة تعامله معنا.

اتخذ القرار وبدأت عملية التنسيق، طلب من العامل الأسير الذي يخرج لتوزيع الطعام أن يسرق قلماً من السجانين وأن يدبر بعض الورق، وبعد محاولات أفلح في ذلك، حيث أخفى القلم والأوراق عدة أيام وفي إحدى زوايا الغرفة التي لا يراها السجانون بسهولة حين مرورهم في الممرات بدأت عملية كتابة رسائل سيتم توجيهها للأقسام الأخرى لتنسيق الإضراب بصورة جماعية، في كل الأقسام ليبدأ في نفس اللحظة.